

صورة العالم الحديث في ربيع سنة ١٩٤٢

بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعه

(١)

كتب برتران روسل الفيلسوف الاجتماعى العالمى ، وقد صار لوردا ، واختار الإقامة في الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٣٨ مقالا نشرته أمهات المجلات الأمريكية يقول في وصف العالم الحديث :

”لقد حلت الوحشية والقسوة محل الحضارة والتقدم وامتلا العالم بالآلام وتجلت آمال الإنسانية في السعادة فاذا هي محض أوهام وظهر للبشرية المنطلعة إلى الخير أنها لم تكن إلا مخدوعة أو خادعة . لاتسعد الأمم بالأراضى المزروعة ولا الأفدنة الخضراء ولا الأشجار المثمرة إنما تسعد الأمم بالرجال الذين يزرعون الأراضى والأفدنة والأشجار ، ولا بالمناجم والمعادن التى تخرج ثروة الأرض الباطنة وكنوزها الدفينة في أحشائها ، إنما بالعمال الذين يخرجون هذه الكنوز ؛ ولكن كيف يصنع رجل واحد محب للخير وميال للإصلاح ، حيال دالم بأسره ؟ إن الجنس البشرى خليط غريب من الخير الإلهى والشر الشيطانى حتى صار كل من الخير والشر أمرا لازما ، لاغنى عنه ولا بد منه . فلا اليأس التام بنافع ولا الاستبشار الأعمى بشافع . وإمته لمن سوء حظ المتعاصرين في هذه الحقبة من الزمن أن تقع أعمارهم فيها“.

وظاهر من رأى هذا الحكيم الذى ملا الكتب بأفكاره المنطقية السليمة منذ ثلاثين عاما أنه وإن لم يمل نحو التشاؤم كل الميل إلا أنه صرح بأمور كان يحرص كل الحرص على أن لا يصرح بها كالتسليم بطبيعة الانسان المزدوجة بالشر والخير ، والاعتراف بأن الفترة التى نعيش فيها فترة سيئة الطالع في دورة الزمن الفلكية . وهذا كان يعد كلاما غريبا على قلم فيلسوف متفائل ولكن الوقائع الراهنة تنهر الأمزجة المتفائلة وترغم الحكيم المتحفظ على التصريح بما كان يصونه عن أذهان الخاصة فضلا عن العامة .

وإن المستقرئ الحصيف لا يعدم من أقوال المفكرين وشهادة الحكماء التى يؤدونها بين يدى التاريخ ومؤلفات الرقباء العدول الذين لا يضمرون تحيزا ، عشرات الآراء التى تؤيد برتران روسل وتدعم حجته في هذا الوصف الوجيز المؤلم . فقد قال ويليم هارد في مجلة ”نظرة الى الأمام“ : ”إن الأهم الحديثة في القارتين اللتين تحملان أعلام الحضارة (أوروبا وأمريكا)

قد فقدت العقائد الدينية ولم تحل محلها شيئا، حتى ولا قانون الآداب العادية التي تعد سياجا متينا في حياة الصين بنائه كونفوشيوس بحجرة من العرف والعادات والأخلاق الموروثة ليكون عضدا لسور الصخور الذي بناه ملوك الصين الأول ليمنعها من هجوم الغزاة والفاشين وإذا كانت الأمم لا تحترم الأديان ولا تعوض عنها بالأخلاق الفاضلة، فلا ريب في أنها تنزلق إلى الرذيلة والإباحية. وقد استقرأت هذه المسألة فوجدتها قد مرت بطورين الأول فقد الكرامة التي كان يحل بها رب الأسرة وانطباع الخلال في الشباب بطابع حب الذات والأثرة. وقد استفحل هذا العيب وتضخم حتى دخلنا في دور الحساب والعقاب على ما جنت أيدينا في هذه البلاد. إن الدين ليس عبادة وطقوسا وحسب، ولكنه أيضا نظام اجتماعي يحدث الرجة والهيبة والاحترام في النفوس. فهو حفاظ لا يستهان به ووقاية ضرورية للأمم في أدوار الحضارة. وإن انحطاط الأخلاق في دور الحضارة يحتاج إلى شدة في معاملة الرجة حتى ترعوى وتسلك ما يقرب من سواء السبيل.

وضرب الكاتب أمثالا عن التمسك بالأخلاق ولو كان عن طريق التقاليد الموروثة في الطبقات القديمة فقال :

”إن البراهمة المتمسكين بدينهم في بلاد الهند يخشون التلوث من مخالطة أرباب الديانات الأخرى كالبوديين والمساكين والمنبوذين، وسبب خشيتهم رعبهم الديني الشديد من لمس لحم الحيوان فإذا وصل إلى أيديهم خطاب من مملكة نائية يأكل أهلها لحم الحيوان يغسل أحدهم بالماء من رأسه إلى قدمه ليظهر من لمس ذلك الخطاب. وكان هذا الأمر يبدو لنا غريبا ودليلا على الحماقة أو على الأقل على التسلع في الدين، أما الآن فنحن نعجب به ونمتدحه لا في ذاته ولكن في دلالته على فائدة التمسك بأوامر الدين ونواحيه. فقد صار كثير من الأمم التي كان يحرم عليها الخمر وأكل لحوم الخنزير والمعاملة بالربا تفعل هذه الأشياء جهارا وفتافرا بها، الأمر الذي لا يخطر على بال الهنود ولذا استطاعوا أن يتماسكوا على مدى الأجيال انطوية أمة متحدة لا يتورها انحلال“.

وضرب مثالا آخر على الكذب فقال ”إن قانون مانو الأدبي الذي يخضع له مائتان وخمسون مليوناً من الهنود يحرم الكذب وينذر بالعقاب عليه ولا يبيحه إلا في حالتين اثنتين :

الأولى عندما يتعلق بالكذب إنقاذ حياة إنسان من الموت، والثانية عند ما تنفي على غانية فتذكر لها محاسن لا وجود لها أو تبلغ في وصف محاسنها.

فإن هذه المبادئ السامية من حياتنا الحاضرة القائمة على الأكاذيب في السياسة والاقتصاد والاجتماع ومائر المعاملات تقريبا، حتى يعاب من لا يتقن هذا النوع. وقد

كتب أحد مشاهير مؤلفي الانجليز في أواخر القرن التاسع عشر فصلا بليغا في "جعل الكذب فنا بحيلًا ، مع أن انجلترا كانت من أشهر الأمم في صدق المعاملات" (١) نعم إن كتابة فصل لا تدل على أخلاق أمة بأسرها ، ولكنه علامة على تحول الزمن ودخول الكذب في حياة المجموع دخولا يقتضى تمجيده والتشجيع عليه ونحو ذلك من دواعي العتاب والملام .

(٢)

من أهم مظاهر الحياة العصرية الحديثة الصراع الحربى المصحوب بالصراع السياسى وهما نتيجة منطقية للصراع الاقتصادى .

كتب تشارلس هندرسون أحد أصدقاء الرئيس روزفلت في مجلة " هاربرز مجازين " فى مقال بعنوان الثورة الاجتماعية يقول " هل يترك العالم حتى ينتحر ، أو تنفى الأمم بعضها بعضا فى هذا الصراع الذى يعرف أوله ولا يعرف آخره ؟ . لقد اشتعل العالم كله بالحرب وبعد ان كانت الحرب محصورة بين دولتين أو ثلاث صارت مشاعة بين جميع دول العالم تقريبا دون استثناء . وبعد ان كانت الحروب من اختصاص الجيوش فى أزمان معلومة وأماكن معينة تعرف بميادين القتال أو جبهات الحرب أصبحت الأرض جميعها ميدان حرب وجبهة قتال وكل سكان العالم جنودا وجيوشا على الرغم من أنوفهم ، حتى الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى ، وأصبح تبلى اليتامى النائمى أمرا مسلما به سواء أمات الوالدون أم فقدوا وأصبح الأهل يبحثون عن ذويهم بالمذيع وانذكت صروح الحضارة المادية التى صرفنا فى تشييدها نحن وأجدادنا مئات السنين . وأصبحت الحياة الانسانية أبغض ثمتنا من سعر قنبلة أو مدفع رشاش ، دع عنك دبابة أو طائرة أو غواصة . واتجه ذكاء الجنس البشرى وفضة أفراداه وقوة إرادتهم نحو التدمير والمهلاك .

وقد فى فعلا عشرات الملايين تقتيلا وإغراقا وإحراقا واكتظت أجواف البحار وفيافى الصحارى والقلوات ومجارى الأنهار وأحضان الحراج والغابات يبحث الشبان الذين كانوا بلا ريب مناط آمال الإنسانية المتمدينة فى القرن العشرين ، أما الأموال التى انفق فى مضمار هذا الدمار فلو أنها استخدمت لاكلها ، بل بعضها فى تقويم الموعج وإصلاح الفاسد وتعمير الحراب وعلاج المرضى ، وإغناء الفقراء وتعليم الجاهلين ، لازدهرت الحياة الدنيا فى كل بقعة من بقاع العالم مئة عام على الأقل .

(١) يشير الكاتب الى ما كتبه أوسكار وايلد بعنوان Lying as a fine art.

إن الحقائق كلها لا تقال للأمم كما صرح بذلك هارى بيرد (Harry F. Byrd) عضو مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة فى مقال مفيد عنوانه "برنامج الدفاع القومى" وما دام القول والمذاع أن هذه الحروب لفائدة الشعوب التى تخوض غمارها فالشعوب أول من يبنى له أن يقف على الحقيقة، نعم إن الزعماء موضع ثقتهم ومقر اطمئنانهم ومستودع أسرار الدول فى السلم والحرب ، ولكن الأمم فى نهاية الأمر هى التى تدفع الثمن مالا ودما .

(٣)

إن أصل هذا النزاع هو صراع لأجل القوت . وما كنا نسمع كاتباً أوروبياً يتغزل فى الخبز قبل الآن .

فقد كتب "ريتشارد سون رايت" فى مجلة "كتاب الأيام" ما يأتى :

"إن رغبة العيش رمز لأشياء كثيرة ثمينة ، ولا يجوز أن تنسى . فيه أرى بذرة التمتع التى تلقى فى جوف الأرض السمراء وقطرات المطر التى تسقى الزرع وتبعث الحرارة فى كيان الحبة . وفيه رؤوس القمح الذهبية وسنايله الرشيقة والرياح التى تهب فتميل تلك السنايل الملائنة بالقوت ، فيشبه حقل القمح تحت اهتزاز الريح موجة عسجدية تذهب وتعود . وفيه تلك الحيوانات الصغيرة التى تجوس خلال الحقول وتمر مسرعة فى أقبنته الضيقة لتقتطف فى غفلة الحراس بعض تلك السنايل قبل نضجها .

ثم يأتى الحصاد فيشمر الرجال والنساء عن سواعدهم ليحصدوا ويكدسوا ويهرسوا ويذروا فى الهواء ثم ينقل القمح إلى المطاحن فتطحنه دقيقاً ناصع البياض وتقدم الأمهات فى غبطة وهناء لعجنه وخبزه فيخرج من الأفران المنزلية ذا رائحة عطرة ولون ذهبي وطعم طيبعى لذيذ . فإذا جاء صباح السبت وصفت الأرغفة الناضجة على الألواح أقبلت الفتيات والفتيان على منها بالزبدة والمربى ليسدوا بها رمقهم كما يفعل آبائهم وأمهاتهم فى المصانع والحقول والمناجم والبيوت" اهـ . الغزل فى الرغبة .

هذا الكلام الجميل فى رغبة الخبز ، لم نقرأ مثله إلا فى هذا العصر ، وهو يمثل حالة نفسية لم تكن معروفة فى أنحاء العالم فى عهود الرخاء ويذكرنا بقول المتنبي فى مدح أبى شجاع فأنك أمير الفيوم :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

من القصيدة الشهيرة التى مطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال . فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

(٤)

ومما يؤيد القول بأن أصل نكبة العالم اقتصادية وأن الخوف من الجوع هو الذى دفع بهم إلى الموت والقتل ما كتبه ويب والدرون الكاتب المعروف بعنوان "مليونان من العاطلين في الولايات المتحدة وحدها" فقد وكده هذا الكاتب الخبير أن العطل في العالم المتمدن ليس حالة طارئة بل داء مزمن يتفاقم ويشند وهو يسبق حصوله بأعوام . فقد كان العطل في الأجيال الماضية طارئاً على العمل والصناع والزراع في مواسم معلومة تعرف في فرنسا بأنها (Saison morte) أى مواسم ميتة أما الآن فإن العالم والعامل والطالب يستعدون للعمل بالدرس والممارسة والمران وهم يعلمون أنهم لن يجدوا عملاً . ونتيجة ذلك في كل أمة متقدمة أنه باقتراض الجيل المعاصر تذهب الرغبة في التحصيل والاستعداد ما دامت النتيجة معروفة سلفاً وهى العطل والعجز عن الحصول على عمل . إن أصل الاجتماع أن يبدأ الرجال أو النساء تعليم فن باقتراض عقد اقتصادى ضمنى مؤداه أنك تبذل المال والجهد لتستعد وأن المجتمع يتفقاك ويجازيك على استعدادك بايجاد عمل لك ولذويك . ولولا ثبوت هذا العقد الضمنى في أذهان الشبان والنساء ما مد أحدهم يده للتعليم أو الاستعداد ، فالأغنياء منهم ليسوا بحاجة للعمل والفقراء لا يرضون أن يتعلموا ليعيشوا بعد ذلك على صندوق الصدقة العامة . ثم تبدأ ثورة اجتماعية غايتها قلب الأوضاع الحاضرة . وأن عدد مليونين هو نتيجة فحص ديوان إدارة الإنتاج وليس ظناً أو تخميناً أو تنجيماً بل حقيقة راهنة وقد شوهدت بوادر هذا العطل في الصناعات الكبرى مثل صناعة السيارات المدنية وصناعة أوافى الألومنيوم "ماينتوك" في ميدتيل وغيرها من البلاد التى تخصص أهلها لهذه الصناعة وأن ديوان العمل ليعجز عن ردع الشركات التى تأمر عمالها بالانصراف لأن رؤوس أموالها لا تكفى لسداد مديونياتهم .

لقد أصبحت أعباء الحكم ثقيلة على كواهل الحكام ، حتى أن الرئيس الواحد منهم ليحيطن نفسه بمدد لا يستهان به من المستشارين وأهل الرأي ممن لا يحلون بقلعة وقد اشتهروا بالذكاء والاخلاص والحنكة . ولكن اليب في هذه الطريقة أن الذى يبدى رأى غير الذى يتعهد بتنفيذه . وكان مثل هؤلاء الأشخاص يعرفون فيما مضى باسم القوة الرمادية (puissance grise) كالأب يوسف الذى كان يسند ريشيو ورجل المايين الهيوينى الذين سندوا السلطان عبد الحميد وكحاشية بعض ملوك انجلترا في أوائل القرن العشرين .

وقد كتب رايون كلا بر في مجلة (Look) أن الذين يحلمون عرش الرئيس روزفلت ثمانية من دهاة الأمريكان يحلون به ويدخلون عليه في كل وقت بدون إذن ويراجعون خطبه ويوجهون أحاديثه وكلهم موضع ثقته ورضيع لبان مودته لا يجذبهم مال ولا تفريهم سلطة وهم

ويل ميليت وفليكس فرانكفورتر وأوكونور وباروخ وشرود ونايت وما كليش وروزمان هؤلاء ليسوا وزراء ولكنهم خلفاء كولونيل هاوس ادى كان يدرئيس وياسون الينى ونحن لا يهنا من عملهم أو أشخاصهم شىء أكثر من أهم جزء من صورة العصر الحديث فى هذا العالم ولو خفص كل بلاط أو رياسة لوجدنا حاشية من هذا العليل قد يكون لها أثر ونفوذ أقوى وأوقع من أثر المسئولين الرسميين أنفسهم . وهذا التكوين الرياسى هو مظهر اجتماعى لحاجة الحاكم الى تعدد الآراء وتوافر الأذهان التى تجتمع لمعونه فى فحص أمهات المسائل فى الحقيقة ودرسها ، فويلهم ضمان للشعب أو ضمان للحاكم وحل حداثتهم — حتى فى حالة إجماعهم — تؤدى الى العاية المصدودة من التفاهم حول الحاكم ؟ وقد أثبت الاختبار أن الحاكم أو الرئيس وإن اتخذ مستشارين غرباء عن الحكم يزداد أمنه مالم يكن هذا المستشار امرأة وإلا فالعاقبة معروفة فيما وقع بين بول رينو وهيلين دى بورت فى مأساة فرنسا .

من مظاهر التناقض الصارخة فى العصر الحديث التضييق على حرية الأفكار والأقوال والاباحة شبه المطلقة فى المجتمع . فعن الأولى قال هيرمان أولشتان صاحب أكبر دار للطباعة فى أوروبا الوسطى "ليس فى مقدورنا أن تكون لنا آراء" وتسجل المجلات والصحف المصورة تصاوير الرجال والنساء فى الحداثق والبساتين العامة وعلى شواطئ البحار فى أوضاع يندى لها وجه الشيخ الناضج وجبين العذراء البريئة . أهو الإعجاب بالجمال ، أو داء الحب للوهلة الأولى ، أو تحلل الروابط الاجتماعية أو إغضاء الشرطة وحفاظ الأمن عن هذا الأذى لكل عين عاصنة قال مستر بروكلين داونى : كنت أمر وصديق فى سنترال بارك وفيه إضاءة كاملة فإن سيادة الظلام لم تكن مطلقة ولن تكونها أبدا فى هذه الجنة الفيحاء وإذا بنا نرى عن يميننا وشمالنا وتحت أقدامنا وفى كل بقعة قدودا ممدودة وأجساما متلاصقة وأذرعة متعاققة وخدودا متقاربة فلم نعان فى أول الأمر أنهم بشر مع أننا سمعنا وصف هذه الحالة عشرات المرات وقد دب الرعب فى قلب صاحبي فعلا ورأيت يسرع الخطى ولكن أخيرا تأكدنا أنهم رجال ونساء فى مستقبل العمر وأنهم اتخذوا هذه الطريقة للالتئاس وقضاء ساعات الفراغ . فقال لى صاحبي :

"لا شأن أن مثل هذه المودة الوثيقة تورث الصداقة ..."

قلت : الصداقة فقط ؟ قل إنها خليفة بأن تورث الزواج الدائم والعروة العائلية التى لا اغصام لها . إذ ليس بعد هذه المحبة على عشب الأرض شىء يقرب بين قلبين .

فنظر لى شزرا وقال لى : أعلم أن الطلاق أصبح بدعة صارخة وأن بعض ولاياتنا تخصصت فى تسهيله !

(٥)

كان الطلاق محرما في الديانة المسيحية لا اعتبره رابطة لا تنقسم بين الكنيسة والسيد المسيح . وفي الانجيل آية " لا تفرقوا من جمعهم الله " ثم عدل عنه البروتستان في القرن السادس عشر . ووضع الكاثوليك في سبيله عقبات ثم أباحوه . وأباحته الكنيسة الارثوذكسية بقيود شديدة والكنيسة الانجليكانية بانجلترا جعلت له أسبابا مشروعة كالزنا والجنون ، عدم اتفاق الأمزجة وأخيرا رفعت القيود في كل مكان حتى صار الطلاق نوعا من اللهو والتسلية فكتب جورودون جاسكيل في المجلة العامة مقالا بعنوان " طلق بنا تلهو "

قال : دقت مدينة رينو سنة ١٩٤٠ أبراسها لثلاثة وألني طلاق ولكن "ميامي" قد بذتها وغلبتها إذ سجلت محكمتها في عام واحد ٤٠٠٠ طلاق . والشروط هيئة لينة فما عليك إلا أن تقيم في هذه الولاية أو تلك تسمين يوما في الصيف أو في الشتاء وأن تدفع رسما بسيطا ثم تقرر أنك ستقيم مدى حياتك في هذا البلد أو ذاك وإن يعاصبك أحد على هذا التقرير . أما القاضي فلا يسألك إلا سؤالا واحدا وهو أنتوى الإقامة إلى ما شاء الله ؟ . أما أسباب الطلاق فهينة فمنها أن زوجتك رفضت قبلك أو غلقت الباب دونك أو أجابتك لإجابة خشنة أو تهاونت في إعداد الطعام أو كلفتك مالا تطيق ثمن لقبعة أو سراويلات أو منامة الخ وكذلك تبدي المرأة أى سبب من هذا النوع كأن تقول أنك لم تضحك من نكتتها فجلت أو سألتها بمد أن قصت عليك نادرة طريفه "وماذا حدث لأحد أشخاص النادرة" مما يدل على عدم انتباهك ، أو أنك تشاغل عنها بمداعبة قط أو كلب أو عصفور ككاري الخ . فإذا صدر الطلاق فقد فصمت عروته إلى الأبد . ويحدث تزوير كثير وكذب أكثر (مع عدم الحاجة اليهما) ولا يبالي أحد بما يحدث .

وهذه الحالة تدل على تفكك الروابط العائلية التي كانت أقوى ضمان للسعادة القومية لأن الأمرة نواة المجتمع ودعامته فإذا كان تفككها سهلا وميسورا ببذل قليل من المال فقد أمسى المجتمع كله في خطر . كانت الأمثال تضرب بسهولة الطلاق عند المسلمين وتعتبر نذير سوء وخطر بل عيا جوهريا في التشريع الاسلامي . أما الآن فقد تغنن الغربيون المسيحيون في اختراع أسباب الطلاق وجعله من السهولة بمكان عظيم ، عابثين بمقدسات الحياة غير عابثين بما يصيب الأولاد وهم ثمار الزواج وعماد الأمة ؛ واكتفى الفرنسيون بتمثيل المآسى على المسارح ووصفوا الأطفال بأنهم ضحايا وكفى !

إن هذه الصورة الفبراء بل القائمة قد أوحى إلى كتاب كثيرين تدوين الكتب وتدبيح المقالات وتخبير الرسائل حتى أن رئيس تحرير جريدة التقدم بمدينة كليرفيلد جاهد في ابتكار عنوانات لا تفتي عشرة مقالة في عدد جريدته ليصف حالة العالم الدولية والاجتماعية ولم يجد

واحداً منها كافياً لبيان موضوعه فاضطر في نهاية الأمر أن يجعل للجريدة كلها عنواناً واحداً في رأس الصفحة الأولى وهو : "العالم في أسوأ حال" .

(٦)

وليس هذا الوصف بالكثير على بعض ما نرى ونسمع ونقرأ بل لعله يليق ببعض لا بالكل وإني لو أمنت النظر أو أنعمت في الحقائق الكبرى الماثلة بين يديك والشاغلة لذهنك لرأيت معظمها ناشئاً من أسباب صغيرة بعدها بعض الناس تفهة حتى ليصدق عليها المثل العربي "معظم الناس من مستغفر الشر" قال "باسكال" المفكر الديني الفرنسي الشهير :

"إن صفات الأمور التي قد تمر غير معروفة أو ملاحظة من أحد تحرك الجنس الإنساني بأمره فإن أنف كلوا بطراً لو كان أقصر مما كان ولو برع قيروط لتغير وجه العالم من سنة ٣١ قبل المسيح إلى الآن، فإن جمال كلوا بطراً قن عقل أطلونيوس ولو لم يفتن بها لما خسر موقعة أكتيوم سنة ٣١ ق.م التي غيرت اتجاه التاريخ وأصبح لو انتصر، مؤسس الإمبراطورية الرومانية" وإن موقعة الطرف الأغر سببت رواج التجارة الإنجليزية في أمريكا ، وإن تغذية الجنود بلحم البقر تعقب الفوز في يادين القتال (وترلو) ، وإن سبب انتخاب ويلسون لرياسة الجمهورية هو (استقالته) من التدريس واشتغاله بالسياسة ، وسبب الاستقالة أنه أراد بناء كلية برنستون بوجهة بحرية فعارضه عميد الكلية ، وإن سبب الحرب الكبرى الماضية طلبة من مسدس برزيب العربي فقتل ولي عهد النمسا . وإن سبب الحرب الحالية هو فشل عصبة الأمم ، وقد فشلت لأن الولايات المتحدة لم تنضم إليها . وإذن يكون وضع كلية برنستون الحالي الذي أغضب ويلسون هو السبب الخفي للحرب الحاضرة .

إن هذه النبذة التي كتبها كاتب من أقدر الكتاب في مجلة Scribner تدل على تفريع التعليل المنطقي في الأذهان الناضجة لحوادث العالم وتعد في ذاتها تلميحاً لبعض ما نشهده من حوادث هذا العصر الحديث التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ على الرغم من قول بعض الباحثين إن التاريخ الإنساني يعيد نفسه .

ولأجل ختام هذه الصورة العالمية العصرية المعجية نذكر أن مجلة "فرنل ريفيو" نشرت بحثاً طريقاً لدرس الإحرام في هذه الأعوام فقال الكاتب : تمر الآن موجة من الجنون الحالي بأذهان المجرمين فقد كفوا عن القتل وإهراق الدماء قليلاً بعد إعلان الحرب ، كما قلت حوادث الانتحار بنسبة الثلث . واتجه الجناة إلى ألوان طريفة من الإحرام ، فقد خطف مجرم ورقة مالية بألف ريال ثم ابتلعها وهو يأمّن من مجيء الشرطة والاعتقال ، وأخذ الآخر وثيقة التأمين على الحياة لصديق وجعلها في "برشام" طي كالأذى تؤخذ فيه الأدوية المرة

وتناولوا يجرع من الماء بدون سبب ظاهر، وسرق أحدهم حماما من تاجر صيني ثم باعه إليه، وأخذ لص سيارة حمل كبيرة من صاحبها فارغة من الأحمال وقادها بضعة أميال ثم تركها سليمة، ودخل رجل عارى البدن إلى مصرف فهربت السيدات من وجهه وضحك الرجل فلم يصنع شيئا سوى أن قال إنه يريد إيداع خمسين ريالاً لحساب صديقته، أما الشيء الذى أخرج الكاتب عن حدود عقله فعبّر عن الحادث بأنه "باعه واشتراه" فهو أن مجرماً شهيراً اسمه "بارو" من كانت تهترله أبواب المحاكم والسجون وتضطرب لذكوره قلوب رؤساء الشرطة والمخبرين إذ أنه زعيم عصابة أدخلت الرعب على جنوب الولايات المتحدة الغربى بأسره زمناً ينيف على عشرة أعوام، هذا الرجل الضخم الخطير يبحث عنه البوليس لأنه سرق علبة بطارخ من دكان بدال !!

قال الكاتب : وإنى أميل إلى تعليل هذه الحوادث بالنظرية القائلة بأنها وليدة الانحلال الخلقى والانحطاط المستمر عن مستوى الحياة الأدبية بسبب ارتقاء التمدن ارتقاء لم يسبق له مثيل، أى أن الأشياء إذا بلغت ما يقرب من الكمال عادت إلى النزول البهيمى أو السريع كما نزول الحياة من أى كائن حى .



هذه صورة خاطفة للعالم الحديث فى ربيع سنة ١٩٤٢ مرسومة بأقلام عشرات من كتّاب الغرب لخصتها لتكون عبرة لأهل الشرق ونحن نعوذ بالله من الشرور ونسأله السلامة فى البقية الباقية .

محمد لطفي جمعه

” إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ “ .

[قرآن كريم]